

أضواء البيان

@ 487 تعالى شهيد على أفعالهم فلن تخفى عليه خافية . .

وقد جاء بصيغة المبالغة في شهيد ، لما يتناسب مع هذا المقام كما فيه المقابلة بالفعل ، كما كانوا قعوداً على النار وشهوداً على إحراق أولياء الله تعالى ، فإنه سبحانه سيعاملهم بالمثل ، إذ يحرقهم وهو عليهم شهيد . { إِنَّ السَّادِّينَ فَتَنَّا } وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتَّوْبُوا . { . يحتمل أن يكون مراداً به أصحاب الأخدود ، وفتنوا بمعنى أحرقوا ، ويحتمل أن يكون عاماً في كل من أذى المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم عنه بأي أنواع الفتنة والتعذيب . .

وقد رجح الأخير أبو حيان وحمله على العموم أولى ، ليشمل كفار قريش بالوعيد والتهديد ، وتوجيههم إلى التوبة مما أوقعوه بضعفة المؤمنين ، كعمار وبلال وصهيب وغيرهم . . ويرجح هذا العموم ، العموم الآخر الذي يقابله في قوله : { إِنَّ السَّادِّينَ أَعْمَلُوا } وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَتَّوْبُوا . { . وهذا عام بلا خلاف في كل من اتصف بهذه الصفات . { إِنَّ يَطَّشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ } . في مقام المنطوق بالمفهوم من العزيز الحميد ، كما تقدم . { إِنَّ زَنْهًا هُوَ يُبْدِرُهُ وَيُعِيدُهُ } . قيل : يبدء الخلق ويعيده ، كالزرع والنبات والإنسان بالمولد والموت ، ثم بالبعث . .

وقيل : يبدأ الكفار بالعذاب ويعيده عليهم ، واستدل لهذا بقوله { كُلاًّ مَّا نَصْرَجُ } جُلُودُهُمْ بِدَسِّ لَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } . . وفي الحديث : (ما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلاَّ إذا كان يوم القيامة ، بطح لها بقاع قرقر ، ثم يأتي بها أوفر ما تكون سمناً فتطؤه بخفافها فتستن عليه كلما مر عليه أراها أعيد عليه أولها ، حتى يقضي بين الخلائق فيرى مصيره إما إلى جنة ، وإما إلى نار)